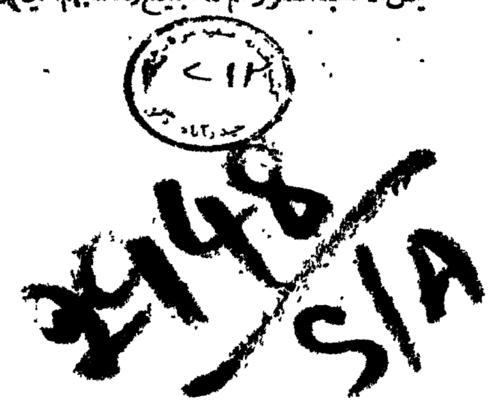
هذا الشرح للشيخ العالم العلامة والحبر البحر الفهامة
الشيخ أحمد بن علان على قصيدة ابن بنت
الميلق التي أولها من ذاق طعم
شراب القوم يدريه نفعنا
الله بعلومهم
آمين

(ويليه شرح الشيخ ابن علان على قصيدة أبي مدين التي أولها ما لذة
العيش إلا صحبة الفقرا رحم الله الجميع ونفعنا بهم آمين)





الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال الناظم رحمه الله تعالى

(من ذاق طعم شراب القوم يدريه * ومن دراه غدا بالروح يشريه)

أى من تحلى باخلاق القوم وسار بسيرتهم باصلاح ظاهره وباطنه بان جعل ظاهره موافقا للشريعة وباطنه متمسكا بالطريقة أشرقت عليه حينئذ أنوار الحقيقة ... مقامات القوم وأحوالهم له غذا يا وق طعمه وشرابا يروى غليله ودواه عليله فاذا ذاق طعم شراب القوم على هذا الوصف ورآه أقبل عليه بكليته ... بروحه كما قال بعضهم

لو أن روحى فى كفى وجدت بها * على البشير بكم يا أمرهم العلل

ما ان وافيت ببعض من حقوقكم * وصرت فى عدم الانصاف فى خجل

(ولو تعوض أرواحا وجاد بها * فى كل طرفة عين لا يساويه)

أي ولو تعوض ذلك الباذل روحه في شراب القوم أرواحا وجاد بتلك الارواح التي تعوضها في كل لحظة أي لا بل الواجود بأرواحه في كل حين ويبذلها في ثمن ذلك الشراب لا يساويه أي لا يساوي ما يبذله ما يطلبه

ما يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

وكيف يساوي ما يبذله ما يطلبه وهو يطلب الغاية التي هي منتهى الغايات ومنية العارفين التي قصرت عنها العبارات والاشارات كما قال في الحكم ليس العارف من اذا أشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده

﴿وقطرة منه تكفي الخلق لو طعموا * فيشطحون على الاكوان بالتيه﴾

أي قطرة من شراب الحقيقة لو شرب بها الخلق أجمعهم لكفتهم وأسكرتهم وأخرجتهم عن وجودهم الوهمي الى الوجود الحقيقي وأشرقت فيهم الانوار الالهية واضمحلت الظلمة الجثمانية فيشطحون على الاكوان تائهين مستغرقين فيما غمرهم به مولاهم من بحار الاحسان وكل عبارة أشكل معناها صدرت عنهم في هذا المقام فان هذا مقام يذهب فيه التمييز لسطوع شمس الحقيقة وتذهب نجوم الفرق فيه من شهود أهل الطريقة كما قال بعض العارفين شعرا

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت * أرض النفوس ودكت الاجبال

لرأيت شمس الحق يسطع نورها * يوم التزلزل والرجال رجال

وهذا مقام الجمع وصاحبه لا يشهد فيه الا الحق ويغنى بالحق عن الخلق حتى يفنى عن نفسه رالكن منه ان يرجع الى الفرق بعد الجمع وهذا مقام البقاء وأهل التمكين والارشاد ومقام الانبياء ووارثيهم ولهذا قال الجنيد رضي الله عنه لما سئل ما النهاية قال الرجوع الى البداية والى هذا المعنى اشار أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه أيضا خضت بحرا وقف الانبياء على ساحله يعني وصلت لجة لبحر ولم أصل الى كمال الانبياء البالغين الى الفرق بعد الجمع فمقصوده بذلك رضي الله عنه انحطاط رتبته عن رتبتهم خلاف ما يوهمه العموم من عبارته وهذا هو اللائق بحال أبي يزيد رضي الله عنه كما علم من تعظيمه لمقام الانبياء في كثير من كلامه لا نطول بذكره

﴿وذو الصبابة لو يسقى على عدد الانفاس والكون كأس ليس يرويه﴾

وما أحسن ما قال بعضهم في هذا المعنى

ومن داخل كن صاحيا غير غافل * ومن خارج خالط كبعض الاجانب

﴿فاريه ظمأ أو الصحو يسكره * والوجد يظهره طورا ويخفيه﴾

أي في الشارب من شراب القوم ظمأ أي اشتياق واشتشراق الى منهل أعلا من منهل فلا يزال يترقى من منهل الى منهل ومن منزل الى منزل لا يلتفت الى حال ولا الى مقام ولا الى كشف ولا الى انوار فان هذه كلها حجاب اذا التفت اليها السالك وسكن اليها فهو فيها بائن ومنها كما قيل العارف كائن بائن والحاصل أن الحجاب على قسمين حجاب ظلماني وحجاب نوراني فالحجاب الظلماني واضح والحجاب النوراني هي المقامات والاحوال والمكاشفات والسالك كلما وصل اليها لا يلتفت لها ولا يسكن اليها بل كل ما وصل مقاما ازداد ظمأ لمقام بعده وهكذا لا يزال يرتوي ويظمأ أبد الآباد كما تقدم قوله والصحو يسكره أي الصحو يسكر السالك المتمكن لان السكر عبارة عن امتلاء الباطن من شراب المحبة والمتمكن يشرب ولا يزداد بشربه الا صحوا كالمدمن الشرب الجاري لا يتغير حاله وان شرب دنا بخلاف المبتدي للشرب لو شرب كاسا أثر فيه وغير حاله فبهذا يقال ان أرباب الاحوال يظهرون وكل واحد يعرفهم لتغير أحوالهم وأما المتمكن فلا يعرفه الا الناقد البصير لعدم تغير حاله ولهذا كان الجنيد رضي الله عنه يتأثر عند السماع في ابتدائه وفي انتهائه لم يظهر عليه تغير فسئل عن ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب والى هذا المعنى أشار الصديق رضي الله عنه لما رأى انسانا يبكي عند قراءته كذلك كنا حتى قست قلوبنا فعبر عن حال كماله بقساوة القلب ستر الحال وتواضعا فرضي الله عنه ما أعرفه بآداب الكلام قوله والوجد يظهره طورا ويخفيه أي الوجد يظهره السالك ويبدي أحواله اذ شرق بتجلي الصفات فان الظهور بها يكون ويخفيه أي الوجد طورا آخر اذا شرق بتجلي الذات اذ ليس في تجلي الذات الا الفناء المحض حتى لا يبقى اسم ولا رسم

﴿يبدو له السر من آفاق وجهته * وليس الا له منه تبديه﴾

أي تبدو للسالك الشارب من شراب القوم الاسرار والاذواق والاحوال من وجهته أي من قبلته ومقصده وهو الوجود المطلق تعالى عن كل قيد حتى عن الاطلاق فان

السالك الصادق لا قبلة له ولا مقصد له الا ذاته تعالى ومن صحح مقصده أشرقت عليه الانوار وظهرت على لسانه المعارف وصفا قلبه وروحه وتجلى له سره وظهرت له أمور يكل عنها لسانه ويغرق فيها جنانه واصل ذلك تصحيح المقصد بالاقبال على المولى والاعراض عن السوى قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عليك بورود واحد محبة المولى ومخالفة الهوى قال الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه وأفضل الاعمال مخالفة النفس والهوى ودوام التوجه الى الله مع الاعراض عما سوى وقال الشيخ رسلان ما صلحت انا ما دام فيك بقية لسوانا واذا حولت السوى أفنيناك عنك وصلحت لنا وأودعناك سرنا وقال فى الحكم كيف يشرق قلب وصور الاكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله عز وجل وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته وقال أيضا فيها فرغ قلبك من الاغيار تملأه المعارف والاسرار أنوار اذن لها فى الاصول وأنوار أذن لها فى الدخول فربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت وقال أيضا كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك والعمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه واصل ذلك كله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون قال الشيخ أبو مدين شتان بين من همته الحور والقصور ومن همته رفع الستور وهذا كله تحويم واشارة الى معنى لا اله الا الله فان حاصله يرجع الى نفى السوى والاقبال على المولى ولهذا قيل الطريق ثلاثة طريقة الصالحين وطريقة الزاهدين وطريقة العارفين فطريقة الصالحين كثرة الاعمال والأوراد وطريقة الزاهدين الزهد فى الدنيا وطريقة العارفين طريق لا اله الا الله وهى الخروج عن السوى والاقبال على المولى ولهذا ورد فى الحديث أفضل الذكر لا اله الا الله وورد من قال لا اله الا الله مخلصا بها من قلبه دخل الجنة وسئل صلى الله عليه وسلم ما اخلاصها فقال ان تحجزك عن المحارم ومعلوم انها لا تحجز عن المحارم حتى تشرق أنوارها فى القلب وتذهب السوى حتى لا يزال العبد مراقبا للرب كما قال بعضهم

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب

قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر فى كل نفس وحال فأيما رآه مؤثراً له حفظه من طوارق المحن ومضلات الفتن وقال أيضاً من سكن سره الى غير الله نزع الله تعالى الرحمة من قلبه وألبسه لباس الطمع فيهم انتهى فلا تتعد نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه آمال الطالبين لا ترفعن لغيره حاجة هو موردها عليك وكيف يرفع غيره ما كان له واضعاً من يستطيع ان يرفع حاجته عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها من غيره رافعا فقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى أيست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيس من نفع غيرى لنفسى ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى فلا تعتمد يا أخى فى ظاهرك وباطنك الا عليه ولا تعول فى سائر امورك الا على فضله وانطراحك بين يديه كما أرشدك الى ذلك سبحانه فى كتابه العزيز حيث قال واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا أى انقطع اليه كليا بظاهرك وباطنك فى رزق قلبك ورزق قالبك فان جاءتك الوساوس من أمر الرزق وشوشت عليك قالبك فاتل على نفسك تمام الآية رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وقل لها يا نفسى هذا مولاك قد أشار عليك بالدواء النافع وبين لك ان المشرق والمغرب له فلا تهتمى بأمر الرزق وأنت متوجهة اليه قال يحيى بن معاذ من فر الى الله ثم أتهمه فى الرزق فقد فر منه لا فر اليه ومع ذلك ما اكتفى بذلك سبحانه حتى قال لا اله الا هو أى لا ضار ولا نافع ولا معطى ولا مانع الا هو فكيف تلتفتى الى سواه والمشرق والمغرب له والضار والنافع والمعطى والمانع هو لا سواه ومع ذلك ما اكتفى بذلك سبحانه وتعالى حتى زاده ودعاك الى التوكل عليه وأنت لو وجدت مخلوقا يتكفل بأمرك وهو ناصح فى ذلك عالم بمصالحك اعتمدت عليه وسكنت فلم لا تعتمدين على ملك الملوك وقد دعاك الى نواله ومزيد بره وافضاله فأى هم يبقى لك يا أخى فى ملاحظة هذه الآيات وأمثالها وأى طلب يبقى لك لسواه اذا شربت من فرات هذه المناهل وليست هذه المنازل يا أخى والمقامات الا لمن دخل حصن لا اله الا الله ولهذا ورد لا اله الا الله حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى وورد لا اله الا الله مفتاح الجنة ولهذا من تحقق بمعنى لا اله الا الله كانت جنته عاجلة فان الجنة لم تشرف بكثرة المآكل والمشارب والمناكح فان ذلك تشاركك فيه البهائم وانما المعنى الذى شرفت به هو الحضور الدائم وهذا نقد عاجل لمن تحقق بمعنى لا اله الا الله ولهذا قال فى الحكم النعيم وان تنوعت

مظاهره اغناهو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره اغناهو بوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب وتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم فشد المئزر يا أخى فى تصحيح هذا المقام وفارق اخوان السوء وسافر فى بيداء هذه لغيافى مع السادة الكرام وقال بعضهم

أيها الخاطب معنا حسننا * مهرنا غال لمن يخطبنا

جسد يفنى وروح للعنا * وجفون لا تذوق الوسنا

وفؤاد ليس فيه غيرنا * فاذا ما شئت أدّ الثمنا

وافنى ان شئت فناء سرمدا * فالفناء يدنى الى ذاك الغنا

واخلع النعلين ان جئت الى * ذلك الوادى ففيه قدسنا

وعن الكونين كن منخلعا * وأزل ما بيننا من بيننا

فاذا ما قيل من تهوى فقل * أنا من أهوى ومن أهوى انا

وقوله وليس الا له منه تبديه أى ليس للسالك من الاحوال والمقامات والمكاشفات والاذواق الاما كان أى منه فى استعداده فان الحق تعالى يتجلى لكل سالك بحسب استعداده فكلما ترقى السالك فى سلوكه أشرقت عليه تجليات أعلى مما تقدم ولا يزال يروى ويظمأ ويكون فى ريه الظمأ كما تقدم من الاشارة ليه من كلام الناظم والحاصل انه لا يزال السالك فى سلوكه من التجليات والمقامات الاما سبق فى علمه تعالى ولم يتعلق الا بما فى استعداده وان كان ذلك الاستعداد أيضا من فيضه الاقدس يتجلى به فى فيضه المقدس ولا يظلم ربك أحدا ولهذا المعنى قال العارف أبو عبد الله القرشى الزم الادب وحظك وحدك من العبودية ثم لا تتعرض لشئ فان أرادك له اوصلك اليه وقال فى الحكم ليس الشأن ان ترزق حسن الطلب ولكن الشأن ان ترزق حسن الادب فالطريق كله آداب فان الحق تعالى يتجلى لكل سالك بحسب استعداده والآداب ثلاثة آداب الشريعة وآداب الطريقة وآداب الحقيقة فآداب الشريعة امتثال الاوامر واجتناب المناهى وآداب الطريقة شهود المنة وآداب الحقيقة معرفة مالك وماله سبحانه وتعالى ولك الفقر والعجز والضعف والذلة وله الغنى والقوة والعزة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى

ومن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ومن عرف نفسه بالذلة عرف ربه بالعزة والحاصل ان العبودية لها أوصاف أربعة والربوبية لها اوصاف اربعة فاوصاف العبودية الفقر والضعف والعجز والذلة وأوصاف الربوبية الغنى والقوة والقدرة والعزة فكلما تحقق السالك بوصف العبودية أمده الرب بوصف من أوصاف الربوبية قال فى الحكم كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متخلقا وقال أيضا تحقق بأوصافك عدك بأوصافه تحقق بفقرك عدك بغناه تحقق بضعفك عدك بحوله وقوته تحقق بذلك عدك بعزه تحقق بعجزك عدك بقدرته ومن هنا يفهم السر فى قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده لم يسمه فى هذا المقام بمحمد ولا بأحمد ولا برسول ولا بنبى وانما وصفه بالعبودية بالاشارة الى ان مقام الاسرى لا يحصل الا من باب العبودية كما انه صلى الله عليه وسلم له اسرى ولم يصل الى اسرائه الامن باب عبوديته كذلك ورثته لهم اسرا بحسب استعدادهم ولا يصلون الى اسرائهم الا من الباب الذى دخله به مورثهم صلى الله عليه وسلم فعض يا أخى بالنواجذ على العبودية واجعلها واسطة عقد أمورك وعسك بها فى بطونك وظهورك وقال فى الحكم مطلب العارفين من الله الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك اذا أردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا أقامك فعليك بمتابعته صلى الله عليه وسلم فى الافعال والاقوال والأحوال تكن آخذا من العبودية بالنصيب الوافر

﴿له الشهادة غيب والغيوب له * شهادة والفناء المحض يبقيه﴾

أى للسالك المذكور الشارب من شراب القوم أصفاه المستغرق فى محبة مولاه الشهادة غيب والغيوب شهادة وتفصيل ذلك وايضاحه ان السالك طريقه الاعراض عن السوى والاقبال على المولى الذى هو معنى لا اله الا الله فاذا قطع علائقه الظاهرة والباطنة واقبل بكليته على الذكر الذى اخذه من شيخه بآدابه فيفنى عن الشهادة وهو عالم الملك ويغيب عنها دخوله فى غيوب عالم الملكوت فتصير الشهادة أى عالمها غائب عنه وعالم الغيوب الذى هو عالم الملكوت شهادة له أى معاينا له يراه بعين بصيرته فعالم الملك ما يرى بعين البصر وعالم الملكوت ما يرى بعين البصيرة وهذا هو الفناء الاول ولا يزال فى ذكره وورده لا يفتر عنه فانه كان الوقوف مع عالم الملك

حجاب كذلك الوقوف مع عالم الملكوت حجاب الا ان الاول حجاب ظلمانى وهذا حجاب نورانى فلا يزال السالك فى سيره حتى يقطع هذا العالم أيضا وأكثر ما يحتاج الى المشايخ فى قطع هذا الحجاب فانه عند ظهور رعاظن السالك انه وصل الى المقصود فيسكن اليه فيحجب به وينقطع عنده فاذا جاوز عالم الملكوت الذى هو عالم القلب باستقامته دخل فى عالم الجبروت الذى هو عالم الروح وهذا العالم غيب بالنسبة الى عالم الملكوت فيصير الملكوت له غيبا وعالم الجبروت شاهدا كما تقدم فى عالم الملك والملكوت وهذا هو مبدأ الفناء الثانى ولا يزال مستمرا فى سلوكه ملازما على اقباله حتى يدخل على حضرة اللاهوت وهو عالم السر وهذا هو كمال الفناء الثانى ويسمى فناء الفناء فيفنى حينئذ عن الخلق ويفنى عن فنائه وهذا منتهى سير السالك وهو الفناء المحض الذى أشار اليه الناظم ومن هنا يرجع الى عالم البقاء والفرق ويصلح بعد ذلك للارشاد فمن لم يستكمل مقام الفناء لم يحصل له مقام البقاء وكذا وكل ذلك من نتائج الذكر المأخوذ من المشايخ مع رعاية الادب المعروفة عندهم وما أحسن ما قيل فى هذا المعنى

ذكر الاله الزم هديت لذكره * فبه القلوب تطيب والافواه
واجعل حلان تقاه ان أخا الحجا * ياصاح من كانت حلاه تقاه
واستعمل التفكير فى ملكوته * مستغرقا فى الكشف عن معناه
ولتخلع النعلين خلع محقق * خلى عن الكونين فى مسراه
ولتفن حتى عن فنائك أنه * عين البقاء فعند ذاك تراه

﴿له لدى الجمع فرق يستضىء به * كالجمع فى فرقه ما زال يلقيه﴾

أى للسالك المذكور عند كماله وتمكنه فرق عند جمعه يستضىء به وجمع فى فرقه ولا يزال يلقيه ويبديه أى يصير السالك فى كماله حاويا للجمع والفرق فلا فرقه يحجبه عن جمعه ولا جمعه يحجبه عن فرقه فهو مع الحق فى الباطن وهو جمعه ومع الخلق فى الظاهر وهو فرقه فشهود الاشياء كلها من الله ايجاد جمع وشهودها من الخلق استنادا فرق على لسان العارف موجود والجمع بقلبه مشهود قال فى الحكم اشارة الى هذا المعنى اذا أراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك وقال أيضا متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لأمره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم عليك المنة ومن تحقق فى هذا

المقام استوى عنده السبب والتجريد فلهذا قال رويم ليس التوكل بالسبب ولا بترك السبب وإنما هو طمأنينة القلب الى الله تعالى ولهذا قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فالرجل من كان ظاهره فى الاسباب وقلبه مع مسبب الاسباب ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق ﴿حكاية﴾ حج بعض العارفين فسئل عن أعجب ما رأى فى حجه فقال رأيت شخصا أخذ بحلقة من حلق الكعبة وهو يطلب شيأ من الدنيا ورأيت شابا فى منى باع متاعا بنحو ثلاثين ألف درهم وما غفل فى بيعه ذلك عن الله لحظة فأخذتنى غيرة حتى تقيأت دما وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

﴿يدنو ويعلو ويرنو وهو مصطلم * فى الحالتين بتمييز وتوليه﴾

أى يدنو السالك بتحققه بأوصاف عبوديته ويعلو بامداد مولاه بأوصاف ربوبيته فان العبد كلما دنى وتحقق بأوصاف عبوديته علا وارتفع وأمده الرب بأوصاف ربوبيته فدنوه عين علوه وانخفاضه عين ارتفاعه وسموه وقوله يرنو وهو مصطلم فى الحالتين أى حالة تحققه بعبوديته وحالة تعلقه بربوبية مولاه بتمييز هذا راجع الى تحققه بعبوديته وتوليه هذا راجع الى تعلقه بربوبية مولاه فالتمييز مناسب للتحقيق بالعبودية لانه جهة فرقه والتولية مناسب لاشراق أوصاف الربوبية لانها جهة جمعه فهو جامع فارق لجمعه يقتضى التولية وفرقه يقتضى التمييز وهذا حال أهل الكمال

﴿له الوجودات أضحت طوع قدرته * وما يشاء من الاطوار يأتيه﴾

أى أضحت الموجودات مطاوعة لقدرته موافقة لاختياره وارادته لان من أطاع الله أطاعه كل شئ وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مع عمه أبى طالب فى بعض الاسفار فعطش أبو طالب فشكى ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فضرب بيده على الارض وأخرج منها ماء فسقاه فقال له ما أطوع ربك لك يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم وأنت يا عم لو أطعته أطاعك ولا يتحقق هذا المعنى الا فى من تحقق بكمال عبوديته وخرج من أوصاف بشريته وذهبت عنه الاختيارات والارادات وسارت ارادته عين ارادته تعالى يستحلى الشدائد ويتلذذ بها كما يستحلى الشهوات ويتنعم بها يشهد محنه فى منحه ويطفئ ناره بنوره ان وقع فى نيران المصائب وتعرضت له الاكوان قائلة له ألك حاجة يقول لها أما اليك فلا وأما اليه فبلى فاذا عادت وقالت له سله يقول لها حسبى من سؤالى علمه بحالى فمثل هذا تعود عليه نار المحن بردا وسلاما فان هذا هو المقام

الابراهيمى الذى أمرنا باتباعه كما قال تعالى وأوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهو المخاطب والمراد هو وورثته لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فمن حصل له مقام المتابعة حصل له مقام المحبة فاى شئ يستغرب منه وكلما يشاهد منه انما هو من الله واعلم ان ذلك العبد مظهر امن مظاهره تعالى لخروج ذلك العبد عن أفعاله وأوصافه ووجوده فلا يرى فعلا الافعل مولاه ولا وصفا الاوصف مولاه ولا وجودا الاوجود مولاه قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى لن يصل العبد الى الله تعالى حتى تفنى أفعاله وأوصافه فى أوصافه وذاته فى ذاته قال الشيخ رسلان كلك شرك خفى وما يتبين لك توحيدك الا اذا خرجت عنك وكلما كشف لك بان لك انه هو لا أنت فاستغفر منك وشاهد ذلك قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومن ذلك خرق العوائد الصادرة عن أولياء الله فهى صادرة عنهم فى الظاهر وهم بمعزل عنها فى الباطن لانهم لا يرون لهم فعلا ولا وصفا ولا وجودا وهذا معنى قولهم العارف كائن بائن ومن هنا يظهر لك اعلم من معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه فمن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله كيف يستغرب منه صدور شئ من الخوارق وعدم فهمك وعملك وخيالك فى فهم هذا الحديث وأمثاله فانه من المتشابه الذى لا يليق بأمثالها الا الايمان به على ما أراد الله ورسوله كما هو طريقة السلف وطريقة القوم لان علوم القوم فوق طور العقل فلا يتوصل اليها الا بالذوق حتى يلوح للسالك ذوق من أذواق هذا الطريق وينفتح قلبه للحقائق فيفهم بقدر ما يفهمه الله على حسب استعداده وغاية ما يعبر المعبر اذا تنزل فى عالم العبارات ان يقول المراد من هذا الحديث بيان حال الفناء والخروج عن أوصاف البشرية وأما المعنى الذوقى فلا يفهمه الا أربابه شعر

ما يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

والى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشئ وقر فى صدره وقال صلى الله عليه وسلم موتوا قبل أن تموتوا وهذا الموت عن الحياة

فأمت نفسك يا أخي حتى تحيا وانجث بركبتيك بين يدى السادة فى كل محيا

﴿القوم سر مع المحبوب ليس له * حد وليس سوى المحبوب يحصيه﴾

قال صلى الله عليه وسلم لى وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وهذا حكم ورثتهم مع الله سر لا يصل مخلوق اليه حتى الملك وهذا هو الذكر الحق الذى لا يشعر به ملك وذلك عند تشرفهم بتجلى الذات فانه عند ذلك تذهب العبارات وتمحى الاشارات ويكل اللسان ويبهت الجنان وهذا أمر لا يسعه الا الايمان حتى تلم لامعة من مقام الاحسان واذا لم تر الهلال فسلم لاناس رأوه بالأبصار وانظر الى قوله فى الحديث القدسى ماوسعني أرضى ولا سمائى ووسعني قلب عبدى المؤمن فقلب وسع الحق كيف يمكن أن يعبر عما فيه وان كان ذلك الوسع مما لم تفهمه العقول وانما يقبله الايمان ثم الاحسان وقال أبو يزيد لو أن العرش فى زاوية من زوايا قلب العارف لما أحس به فقلب هذا صفة لا يحيط بأسراره ولا يعلم مافيه الا مواليه فعليك يا أخي بالتحبب لأمثال هذه القلوب واخضع لها لعل الله ينظر اليها نظرة فيراك فيها فيجذبك جذبة خير لك من عمل الثقلين قال سهل رضى الله عنه ان الله ينظر الى قوم كفاحا والى قوم من قلوب قوم فتحببوا الى قلوب أولياء الله فلعل الله ينظر الى قلوبهم فيرا كم فيها وما أحسن ماقيل شعر

لى سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه * ان لم أكن منهم فلى فى حبهم عز وجاه

﴿به تصرفهم فى الكائنات فما * يشاؤا وماشاءوه يقضيه﴾

أى بذلك ترى تصرف القوم فى الكائنات فما يريدون شيأ الا الذى أراده لا بد أن يقع لان مرادهم تابع المراده فمنهم من يعلم مراد الله فى ذلك السر قبل وقوعه لكشف عن الله عليه به ومنهم من لا يعلم الا بعد وقوعه فكلما وقع شئ قالوا هذا عين مرادنا لانه عين مراد الله لوقوعه لانه لا يقع الا ما أراد فكلا القسمين من السادة لا يقع فى الكون الا ما أرادوا ولانهم لا يريدون الا ما أراد وصاحب هذا المقام لا يعتريه أبدا هم ولا غم لان الاشياء كلها موافقة لمراد الله ومرادنا تابع لمراده ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له أوصني قال لا تغضب ثم قال أوصني قال لا تغضب فكرر عليه صلى الله عليه وسلم اشارة للتحقيق بهذا المقام يعني كن عبدا لمولاك لا تختر لأمرك شيأ واجعل ارادتك تابعة لارادته وكيف يعتري الغضب من كان هذا مقامه شعر

اذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا * رأيت جميع الكائنات ملاحا

ولهذا لما شكى شخص الى النبى صلى الله عليه وسلم الهم قال له قل الله ربى لا أشرك به أحدا فأشار صلى الله عليه وسلم فى دوائه ان الهم سببه الشرك فعلاجه الرجوع الى التوحيد لان علاج كل شىء ضده فتحقق يا أخى بهذا المعنى وخذ المالك حبى المهنا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه اذا أردت عز الدارين فادخل فى طريقنا هذا يوم أو يومين وما أحسن ما قال بعضهم

حرام على من وحد الله وحده * وأفرده أن يحتذى أحدا رفدا
فيا صاحبى قف بى مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيى بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدا

رأى شخص ابراهيم بن أدهم وهو يرقع ثوبه فقال له ما عوضك الله يا ابراهيم عن ملك بلخ قال شىء لا يصل اليه عقلك ولكن أظهر لك شيأ مما تفهمه فرمى بابرته الى البحر ودعا الله أن يردها عليه فاذا كل حوتة فى فمها ابرة من ذهب فقال يارب ما أردت الا ابرتى والتفت الى ذلك الشخص وقال هذا مما أعطانى مما تفهمه وما أحسن ما قال صاحب الحكم فى مناجاته الهى ماذا وجد من فقدك وما الذى فقد من وجدك لقد خاب من رضى دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الاحسان أم كيف يطلب غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان

ان كنت تعجب من هذا فلا عجب * لله فى الكون أسرار ترى فيه
لا شىء فى الكون الا وهو ذو أثر * فما المؤثر غير الله قاضيه

حاصل ما فى هذين البيتين جوابا عما تستشكله العقول الضعيفة وتستغرب صدوره من مخلوق مثلها فقال ان كنت تعجب أيها المحجوب من صدور أمثال هذه الخوارق من السادة الكرام فلا عجب فان الاشياء كلها الصادرة عنهم فى الظاهر انما هى صادرة من الله فى الحقيقة ولله فى الكون أسرار ترى فيه وزاد الناظم وحقق ذلك بقوله لا شىء فى الكون ذو اثر الا والله سبحانه وتعالى هو المؤثر والقاضى فيه فمع حفظ هذا الاصل كيف يبقى لك أيها المحجوب تعجب فى مثل ذلك وقد تقدم الكلام مستوفى فى هذا المعنى آنفا فصحح يا أخى فى أحوال القوم الايمان لتحوز الولاية الصغرى

وتندرج الى مقام الاحسان فالمرء مع من أحب وهم القوم لا يشقى جليسهم فكيف يشقى محبهم وأنيسهم

﴿ليس التضاد مناطا لقدرته * من حيث قدرته يأتي تعاليه﴾
﴿وانما من وجوه الحادثات له * تمانع في محل ذاك يحويه﴾

لما بين ان كل ما يظهر من خرق العوائد على يد أولياء الله من قدرته تعالى ولله في الكون أسرار تري فيه أراد أن يبين في الكلام على ذلك فقال ان قدرته تعالى عامة ولا يمنع التضاد من حيث انها قدرته تعالى وان امتنع من جهة الحوادث وكونها محلا له وأما اذا خرج الامر عن العادة وانخرقت العوائد فلا مانع من ذلك ومن ذلك ما يحكى عن بعض العارفين انه طلب الافطار في رمضان فأجاب للافطار في نحو خمسين موضعا وحضر عند الجميع وهو لم يفارق موضعه فانظر الى هذا المعنى ما أبعده عن العادة فان كون الانسان في مكانه يضادده كونه في مكان آخر فكيف بامكنة وقد تحقق من مثل هذا العارف تجرده عن أوصاف البشرية وفناؤه عن أفعاله وأوصافه ووجوده ولم يبق فيه الا فعل الحق ووصفه ووجوده وأما فعله ووصفه ووجوده الوهم فقد فني وهكذا من خرق من نفسه العوائد خرقت له العوائد والاخبار الواردة عن أهل الجنة في مثل هذا المعنى كثيرة ومن تحقق بأحوال العارفين كانت أحوال أهل الجنة له نقدا حالا قال أبو يزيد رضي الله عنه اذا أعطاك حلاوة من ذكره فاذا تريد بالجنة وقال في كلام آخر رأيت أعظم شيأ ما يعذب الله به فلم أجد أشد عذابا من الغفلة فادخل يا أخي جنة العارفين بدوام حضورك واقطع العلائق وتبتل الى مولاك في بطونك وظهورك وقد ورد ان أهل الجنة اذا دخلوا الجنة لا يتحسرون الا على ساعة مرت لهم في الدنيا بغير ذكر الله فاحرص على هذه الحالة التي اذا دخل أهل الجنة الجنة لا يتحسرون الا عليها وأنفق أوقاتك وأنفاسك فيها

﴿ولله فقير وجود ليس يحصرها * عدو كل وجود فهو واديه﴾

الفقير هو الفاني الخارج من أوصاف بشريته المتحقق بعبوديته ومثل هذا تشرق عليه أوصاف الربوبية وتسطع عليه من مشرقة أنوار الخصوصية وتصدر من مظهره القدرة الالهية ويكون متخلقا بأوصاف مولاه كما ورد تخلقوا بأخلاق الله فتعم رحمته الخلق وتواضعه لكل فرد حتى كأن الخلق كلهم أجزاءه فيتنعم اذا تنعموا ويتألم

اذا تأذوا ويقابل السيئة بالحسنة ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حيث شج الكفار رأسه الشريف وكسروا رباعيته فقال الصحابة ادع عليهم يارسول الله فقال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فدعا لهم بالهداية واعتذر عنهم بعدم العلم وكذلك ينبغي لوارثه اذا بلغه من أحد سيئة يقول اللهم اهد فلانا فانه لا يعلم فمن اقتدى به صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الخصلة كان له من الوارث النصيب الوافر ومن تحقق بهذا المقام كانت أوصافه لا تحصر ومحاسنه تتزايد في كل وقت وتظهر

﴿ولو كنت تدري وجود العبد كنت ترى * فيه الكمال كما النقصان تنفيه﴾

أي لو كنت ترى أيها الطالب الراغب وجود العبد أي حاله وكماله ويظهر لك ذلك بنور بصيرة يمنحك الله اياها لرأيت فيه الكمال ونفيت عنه النقصان وتمسكت بأذياله ووحدت حول حمى فضله ونواله وهذا شروع من الناظم في تحريض السالك على تحصيل الرفيق في الطريق فان طريق الله لا يمكن قطع فيافيها ولا وصلى مسافة بواديها الا بالرفيق وهو الشيخ المرشد الكامل ومثل هذا لا يمكن الوصول اليه ومعرفته الا بعناية من الله وفضل منه قال في الحكم سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه أي كما انه لا دليل ولا موصل اليه تعالى الا فضله كذلك لا دليل ولا موصل الى أوليائه الا فضله فانهم أبواب الحق واذا دعاك الكريم الى بابه فلا يردك خائبا فالزم ان ظفرت يا أخي بواحد منهم وعفر الخد بتراب تلك الاعتاب وقل

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي * وتقبلوني على عيب ونقصاني
فان رضيتم فيا عزي ويا شرفي * وان أبيتم فمن أرجو لعصياني

﴿والعبد هذا هو الحر الذي حصلت * له الخلافة جل الله معطيه﴾

شرع الناظم يبين أوصاف الشيخ الذي يحرض عليه بعد ان وصفه بالعبودية فقال والعبد هذا هو الحر الذي حصلت له الخلافة أي الشيخ المشار اليه وهو المتحقق بالعبودية ومن تحقق بها ظهرت فيه الحرية وتمت له الخلافة الالهية لان حقيقة العبودية الخروج من أوصاف البشرية ومن خرج من أوصاف البشرية خلعت عليه اوصاف الربوبية فصار مظهرا من مظاهر الحق وخليفة من خلفه فمراجعا

هـداية الخلق

﴿أوصافه ظهرت من وصف مبدعه * وكله مظهر يبدو تجليه﴾

أي أوصاف هذا العبد ظهرت من وصف مبدعه أي انه تحقق بالفناء فأفنى أفعاله في أفعاله وأوصافه في أوصافه وذاته في ذاته فلم يبق كله الامظهرا من مظاهر الحق يبدو في تجليه أي يظهر فيه فعل الحق ووصفه ووجوده كما يشهد لذلك قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا وان كان وارد في حقه صلى الله عليه وسلم فللوارث من ذلك نصيب وهذا معنى يدق على الفهم ادراكه ولا يسعه الا الايمان وغاية ما يتنزل في التفهيم ويمثل في علم التفسير بالحديد اذا وضع في النار فاحمر وصار محرقا فظهرت فيه أوصاف النار فالحديد حديد والنار نار ومع ذلك يشاهد أوصاف النار في الحديد وهكذا العارف وان ظهرت فيه أوصاف الربوبية وأشرقت عليه فهو باق في عبوديته فالعبد عبد والرب رب فكلما أشرقت عليه أوصاف الربوبية أكثر وازداد في تحققه بعبوديته أكثر وتحلى بخلع الاوامر واجتناب النواهي ذوقا وحالا كما قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا أعلى مراتب الايمان لا يكمل الا للعارف

﴿اذ رأى ذكر المولى برؤيته * وفاز بالسعد والتقريب رائيه﴾

أي اذا أمر هذا العبد ذكر المولى برؤيته كما ورد في وصف بعض الصالحين الذين اذا رأوا ذكر الله لان نور قلبه مشرق على وجهه سيماهم في وجوههم من أثر السجود فمن رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ومن ثم له ذلك فاز بالسعد والقرب قال ابن علوان رضي الله عنه سعدت عين رأتك وقرت وكذا عين رأت من رآك ومثل ذلك للشمس اذا أشرقت على الجدار نار الجدار الآخر المواجهة لذلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس وهذه طريقة معروفة عند المشايخ يسمونها بالرابطة وهي رؤية وجه الشيخ فانها تثمر ما يثمر الذكر بل هي أشد تأثيرا من الذكر لمن عرف شروطها وآدابها وذلك اغا يكون للشيخ الكامل العارف المستشرف بالتجليات الذاتية ومن ذلك كان تربيته صلى الله عليه وسلم للصحابة وكانوا يستغنون برؤية طلعته الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة وينتفعون بانوار طلعته السعيدة أكثر ما ينتفعون بالاذكار في مدة مديدة ولهذا كانت درجة الصحابة لا تتضاهى والاجتماع بالمشايخ

ولو ساعة مرتبة بها يتباهى اجتمع شخصان فى طريق ضيق فقال أحدهما الآخر تقدم فقال له بما استحق التقدم عليك قال لأنك صاحبت الجنيد نصف يوم فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم فضيلة يستحق بها التقدم عليه وهكذا أهل الانصاف

﴿عبد عليه سمات العز لائحة * وخلعة العز والتحكيم عاليه﴾

قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فالمؤمن هو العبد الذى ترى عليه سمات العز لائحة وطيب خلع العز والتحكيم عليه من كل جانب فائحة قال صاحب البردة

كأنه وهو فرد من جلالته * فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

وهذا البيت وان كان فى وصفه صلى الله عليه وسلم فللوارثين من ذلك النصيب الوافر وجميع أنوارهم اغتراف من نور قلبه الزاهر

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

قال بعضهم دخلت على ذى النون المصرى فرأيته هو وأصحابه مرتقين تمتعت بالرؤية قبل سماع الكلام وهكذا العارف تستفيد منه لحظة قبل ان تسمع شيأ من لفظه وترشدك أحواله من قبل أن تصل الى سمعك أقواله قال بعضهم فى معرفة مثل هذا العبد اذا أنس مع شخص جلست ولم تجد حضور ك يمحو فاجتنبه وفارق ولا تصحب الاغيار واختر مصاحبا يفيدك جمع القلوب من غير عائق

﴿ان كنت تقصد أن تحظى بصحبته * فاسلك على سنن طابت مساعيه﴾

أى ان كنت تقصد أيها الطالب ان تحظى بصحبة هذا العبد المحقق بعبوديته وهو الشيخ الكامل المرشد الذى تم فناؤه ورجع الى بقائه بخلع ربانية من مولاه فاسلك على سنن أى طريق طابت مساعى تلك الطريقة بان تتأدب بين يديه بالادب النافع وتنكسر لحضرته انكسار الذليل الخاضع لا ترى لك حالا ولا مقاما ولا تطلب منه تعظيما ولا احتراما بل تكن همتك الخدمة ومعاملتك معه التزام الحرمة لا تخالفه فى ظاهرك ولا تعترض عليه فى باطنك قالوا من قال لشيخه لم يفلح أبدا بل تكون بين يديه كالميت بين يدى الغاسل

﴿اخلص ودادك صدقا فى محبته * والزم ثرى بابه واعكف بناديه﴾

اخلص ودادك أيها الطالب الراغب بالصدق فى محبة شيخك والزم ثرى بابه تمسك بتراب اعتابه واعكف بناديه ولازم الطاعة بامتثال امره واجتناب نواهيه حتى

يكون مراده عين مراده وتشاركه في سفره وزاده قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وكذلك لا يكون الطالب طالبا حتى يكون هواه تبعا لما امره به شيخه اذ الوارث مالكه مالك موروثه وجميع ما تأخذ من الشيخ كانك تأخذه منه صلى الله عليه وسلم لان الشيخ هو الذي تحقق بكمال المتابعة له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا فاذا خالفته في شيء من ظاهرك وباطنك فكانك خالفته صلى الله عليه وسلم وان لم تعتقد في شيخك هذا المعنى لم تنتفع به وان اعتقدت فيه ذلك وجب عليك احترامه ولزمك امتثال أوامره وأحكامه واذا اشكل عليك امر من أحواله في الظاهر فاذكر قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام وتمسك بها في ذلك الخاطر وأول ما أشكل عليك وان عجزت عن التأويل فارجع الى التسليم فان الامر دائر بين ان تنسب النقص اليك او الى شيخك فنسبته اليك أولى وسلم تسلم واغتنم مرتبة الايمان حتى تصل مرتبة الاحسان * وورد انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة كان يعطى الاموال اقريب العهد الى الاسلام من قريش وغيرهم فقال بعض الانصار هذه سيوفنا المخضوبة بالدماء وهو يعطى المال اقرانه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال للانصار ما هذه المقالة التي بلغتني عنكم فقال عقالهم هذا قاله بعض جهالنا وأما نحن فلم نقل شيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضون ان الناس يذهبون بالأموال وأنتم تذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا يا رسول الله فانظر يا أخي لما اشكل الامر على بعضهم ولم يسعه في ذلك التسليم فكيف ذكر اعتراضه عليه صلى الله عليه وسلم وابداه وذلك البعض الآخر كيف سلم امره اليه صلى الله عليه وسلم واذعن ثم لما ازال الشبهة صلى الله عليه وسلم عن الامر انجلى الغبار وطلعت الشمس وانطمست نجوم الاغيار فاهتدى الفريقان بما سطع لهم من الانوار فافهم يا أخي الطريق وأزل من قلبك ساحة أوساخ التعويق واجعل الشيخ قبلتك حتى تصل الى القبلة الحقيقية واقتف بآثاره حتى تفوز على الاقتفاء بآثار خير البرية وحسن الاعتقاد حتى تسود مع من ساد

﴿واستغرق العمر في آداب صحبته * وحصل الدر والياقوت من فيه﴾

واستغرق العمر يا أخي في صحبة شيخك حتى تعرف آداب الصحبة وتنتقل من صحبة المخلوق الى صحبة الخالق فان جميع ما يطلب مع الشيخ من الآداب يطلب منك بعد

ذلك ان تعامل به الرب فلا يصلح للعبد عبودية حتى يكون مراده تابعا لمراد مولاه من أحبه لم يؤثر عليه شيأ من مراداته واذا عرفت الآداب مع الشيخ وتأدبت بآدابه في صحبته كنت أهلا لان تصير بعد ذلك من أهل الله وخاصته وهكذا شأن الملوك اذا أرادوا أن يقربوا عبدا او يجعلوه من خاصتهم جعلوه عند من يعلمه آداب الخدمة فاذا كان الملك المجازى لا يرضى لخدمته وحضرته الا عبدا مؤدبا فكيف بملك الملوك واجتهد يا أخى في معرفة الآداب لتكون من أهل المنادمة وخاصتهم والمجاورة في منازل الاحباب وما أحسن ما قال بعضهم

اعط المعية حقها * والزم له حسن الادب واعلم بأنك عبده * في كل حال وهو رب

وقال بعضهم ان هذين البيتين قد تضمنا خلاصة ما في الاحياء اذ المقصود من الاحيا كله معرفة الآداب فالطريق كله آداب ولهذا قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى في تعريف التصوف وهو تربى النفس في العبودية وردها الى أحكام الربوبية قوله وحصل الدر والياقوت من فيه أى انك أيها الطالب اذا استغرقت عمرك في صحبته حصل لك الدر والياقوت من فيه أى حصل لك سماع المعارف والحقائق والمعاملات الدقيقة والاشارات النفيسة التى هى جواهر ويواقيت لاهل الاذواق وذلك لا يحصل الا في مدة مديدة اذ هم رضى الله عنهم لا يتكلمون الا بقدر الحاجة وبحسب المصلحة فبطول الصحبة تحصل الاحوال المختلفة يذكرون فيها ما يناسب كل حال بحسب كل شخص فتتنوع الفوائد وتتزيد الفرائد ولهذا كانوا الصحابة ينتفعون كثيرا بالاعراب لما يأتون ويسألونه صلى الله عليه وسلم فيجيبهم بحسب سؤالهم فيستفيدون الصحابة من ذلك علوما كثيرة ولو لم تأته الاعراب وسألوا لم يمكنهم السؤال لانهم لا يتكلمون عنده صلى الله عليه وسلم الا بقدر الضرورة لمزيد آدابهم ورعاية أحوالهم وحفظ قلوبهم عما لا يعنى ولا يعينك يا أخى الا آدابك اللازم واشتغال سرك به في غفلات لحظة بسواه كان ذلك من أعظم الذنوب عند من كان همته الاشتغال بالله

وابذل قواك وبادر في أوامره * الى الوفاق وبالغ في مراضيه

ابذل أيها الطالب الصادق قواك وحواسك وظاهرك وباطنك في خدمة شيخك وبادر في امتثال أوامره ووافقه في جميع ما يهوى واجعل هواك تابعا لهواه وبالغ فيما يرضيه واخضع وانكسر بين أياديه

﴿واحذر بجهدك ان تأتي ولو خطأ * مالا يحب وباعد عن مناهيه﴾

واحذر واجتهد وبالغ فى طاعته ولا تأت بما لا يحب ولو خطأ وابعد عن ماينهاك عنه وا كرهه فان وقع ذلك منك ظاهرا استغفرت باطنا وان وقع منك ظاهرا استغفرت أيضا باطنا واعتذرت ظاهرا فانهم أهل السماحة يقبلون العثرات ويقبلون الاعذار متخلقون بأخلاق مولاهم فان الله يحب التوابين وهم كذلك يحبونه وكلما طر أمنك ذنبا فاغسله بصابون التوبة والاعتذار وسبعه مترّبا بالذلة والانكسار فليس الشان أن لا يقع منك ذنب انما الشان ان لا تصر على الذنب ليس الشان أن لا يتدنس ثوبك انما الشان أن لا تصر على تدنيس ثوبك فكلما دنس ثوبك فاغسله بصابون الطاهر وكلما تدنس قلبك فاغسله بصابون الذلة والانكسار ما طلب لك شئ مثل الاضطرار ولا أسرع علك بالمواهب مثل الذلة والانكسار وشاهد ذلك قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة

﴿وكن محب محبيه وناصرهم * والزم عداوة من أضحى يعاديه﴾

﴿واعلم يقينا بان الله ناصره * ان لم تكن ناصرا فالله يكفيه﴾

وكن أيها الطالب الصادق محب محبي شيخك وناصرهم وعاد معاديه وباينهم فان هذه هى حقيقة المحبة ان تحبه وتحب من يحبه وتبغض من يبغضه وهى ترجع الى المحبة فى الله والبغض فى الله لان الشيخ هو المحقق بكمال المتابعة له صلى الله عليه وسلم أفعالا وأقوالا وأحوالا ومن أحب فى مثل هذا فكأنما احب الله ورسوله ومن عاداه فكأنما عادى الله ورسوله ومن احب فى الله وأبغض فى الله فقد استكمل الايمان وبلغ أعلا درجة الاحسان وما أحسن ما قال بعضهم

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفت قلبي * ولكن حب الديار من سكن الديار

وقال بعضهم وقع جدب فى بعض البلدان فاستسقوا ولم يسقوا واخرج انسان وقال يارب بحق ما فى هذا الرأس اسقنا فسقوا وارتووا فقال له بعضهم وما فى هذا الرأس قال عينان رأت أبا يزيد فقال له ذلك القائل أنا جار أبو يزيد فقال أنت أحق منى بالاجابة فانظر يا أخى الى عين رأت الشيخ الكامل كان لها هذا المقام عند الله فكيف بقلب احتشى بحبه وجوارح وحواس لم تزل متلذذة بقربه فكيف لا تكون أيها الطالب

محبة الهيا كل ترتبت بهذه القلوب ومبغضه لابد ان حرمة النظر الى هذه المحاسن وبعد تم الذنوب قوله واعلم يقينا بأن الله ناصره البيت يعني ان نصر الشيخ ليس موقوفا على نصرك أيها الطالب ان نصرته فالمنفعة راجعة اليك وان لم تنصره فالله ناصره اما على يدك أيها الطالب أو على يد غيرك قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه أى كافيه وناصره وحقيقة التوكل كما قال ابراهيم الخواص رضى الله عنه ان تكتفي بعلم الله فكيف عن تعلق القلب بما سواه وصاحب هذا المقام لا يلتفت فى نصرته الى زيد ولا الى عمرو ولا الى أحد من الخلق ولا الى نفسه وحوله وقوته لان الكل سواه وهو لا يعرج على غير المولى وما أحسن ما قال بعضهم فى هذا المعنى

أنا لا أعرف الا أنتم * فاخبرونى بعطاء منكم

كل شخص وعزيزى * ليس الا أنتم

واسمع ما قال الله تعالى فى كتابه العزيز تحقيقا لهذا المعنى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وكذلك المشايخ الكمل اذا قيل لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فينقلبون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ينصرهم الله على يدك أيها الطالب أو على يد غيرك والسعيد من أسعده بخدمتهم ووفقه لنصرهم ومحبتهم واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

* وأنزل الشيخ فى أعلا منازله * واجعله قبلة تعظيما وتنزيها *

* ولست تفعل هذا ان ظننت به * نقصا ولا خللا فيما يعانيه *

وأنزل الشيخ أيها الطالب الصادق فى أعلا المنازل واخضع بين يديه وتذلل فى البكور والآصال واجعله قبلتك التى تعظمها وتنزهها حتى تصل به الى القبلة الحقيقة وانف عن أوصافك وانخلع عن كمالاتك حتى تنال بصاحبة الانخلاع عن أوصاف البشرية وتستنشق شمة من روائح القرب من الحضرة الأحدية وينطمس من قلبك الاغيار وتستشرف روحك الى معادن الاسرار ويتجلى لك سرك وتصل الى مقام المشاهدة والمكالمة مقام لا يسع وصفه عبارة ولا يحيط بكنهه حاله اشارة ولست تنال هذا المقام أيها الطالب من شيخك ولا تتحقق بهذا الانكسار وأنت تظن به نقصا أو خللا فى

الاعتقاد أيها الطالب لتنال ببركة صحبته انتهاء المطالب

﴿واترك مرادك واستسلم له أبدا * وكن كميت خلا في أياديه﴾

واترك مرادك لمراده وسلم له لامر دائما وان رأيته خطأ لخطاء الشيخ خير من صوابك وانسب النقص لنفسك وكن مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء وهيهات يتم هذا التسليم الا الفرد بعد الفرد من المريدين ولهذا لا تجد المشايخ تظهر الا في القليل منهم فان المريض مالم يوافق الطبيب في جميع ما يأمره لا تتم له الصحة والمريد مريض والشيخ طبيب فان اطاعه في جميع أوامره صح من مرضه

﴿أعدم وجودك لا تشهد له أثرا * ودعه يهدمه طورا ويبنيه﴾

تخل أيها الطالب عن كل شيء تشهده منك وتخلق بكمال فقرك وافن عن وجودك ولا تشهد لك أثرا وسلم كل ذلك لشيخك ودعه يتصرف فيك كيف يشاء يهدم وجودك طورا ويبنيه طورا أخر

﴿متى رأيت شيأ كنت محتجبا * برؤية الشيء عما أنت ناويه﴾

أي متى رأيت نفسك شيأ أو ثبت لك حالا أو مقاما كنت محتجبا بتلك الرؤية عن ما أنت ناويه وقاصده أي كنت محتجبا بتلك الرؤية عن مولاك قيل لذي النون ما اشد الحجاب وما اخفاه فقال رؤية النفس وتدبيرها ورؤيتك نفسك ورجوعك اليها واستبدادك بحالك حجاب غليظ لك عن مولاك وقاطع لمدد الشيخ عنك فلا تحل الا بين يدي الشيخ لا بخلعة الافتقار ولا تقف بين يديه الا برداء الذلة والانكسار فتقابل حينئذ بخلع القبول وتهب عليك نفحات الوصول وتذوق من الاحوال أحلاها ويشرق عليك من الانوار بهاها

حد في سيرها استلام * هذه طيبة وهذا المقام

﴿ولا ترى أبدا عنه غنى فتى * رأيت عنه غنى تخشى تناسيه﴾

أي لا ترى نفسك غنيا عن المشايخ أبدا وان بلغت درجة الوصول فانك متى رأيت نفسك غنيا عنه تخشى ان ينساك من مدده فالمريد كيف ما كان لا يستغني عن المدد من شيخه لان ساقيته منبع ماء بحره فالجدول لا تستغني عن أصلها كان شخص يصحب الشيخ أبو الحسن الشاذلي فانقطع عنه فقال له الشيخ لم انقطعت عني قال استغنيت بك عنك فقال الشيخ ما استغنى أحد بأحد مثل ما استغنى الصديق رضى

الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك ما ترك صحبته يوما وكان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه كثيرا ما يقول قال الشيخ أبو الحسن فينسب غالب المقالات الى شيخه فسئل عن ذلك فقال لو شئت قلت قال الله حتى ينقطع النفس لفعلت ولو شئت قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينقطع النفس لفعلت ولو شئت قلت أقوال كذا حتى ينقطع النفس لفعلت ولكن اترك ذلك كله وانسب القول للشيخ رعاية للادب معه فانظر يا أخي الى كمال هذه المتابعة ورعاية مثل هذا الادب مع شيخه لم ينفصل عنه حيا ولا ميتا ولم يرى الاستعداد لنفسه في المقام وهو القائل رضي الله عنه لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة ما أعددت نفسي من المسلمين فجزاه الله عن ذلك الحب أعظم الجزاء

﴿ان اعتقادك ان لم تأت غايته ۞ فيه فيوشك أن تخفى مباديه﴾
﴿وغاية الامر فيه أن تراه على ۞ نهج الكمال وان الله هاديه﴾
﴿ومن امارة هذا أن تؤول ما ۞ أشكل عليك اظهار الخافيه﴾
﴿والمرء ان يعتقد شيأ وليس كما ۞ يظنه لم يخب فالله يعطيه﴾

حسن اعتقادك أيها الطالب في الشيخ وأت بالغاية فيه فانك ان قصرت في ذلك يوشك أن يخفى ويذهب مبادي اعتقادك وتضمحل وغاية الأمر في اعتقادك ان تراه على طريق الكمال وان الله هاديه ومن علامة هذا الاعتقاد أن تؤول ما أشكل عليك من أمره وتعلم ان للشيخ انظارا دقيقة لا تصل معرفتك اليها وأنت اذا اعتقدت ذلك في الشيخ وكان الأمر على خلاف ظنك لم تخب في ذلك فالله يعطيك بحسب ظنك وهذا تنزل معك أيها الطالب وجذب لك الى تحسين العقيدة بالشيخ بكل وجه فحسن العقيدة واترك الوسواس واقبل على خدمته بالانكسار واخش من الدسائس

﴿وليس ينفع قطب الوقت ذا خلل ۞ في الاعتقاد ولا من لا يواليه﴾
﴿الا اذا سبقت للعبد سابقة ۞ يعود من بعد هذا من مواليه﴾

أي وليس ينفعك أيها الطالب ملاقاة القطب والاجتماع به اذا لم تنكسر له وتخضع بين يديه وتتذلل فاذلك قيل من أشد الحرمان ان تجتمع بالولي ولا ترزق القبول عنده وما ذاك الا لسوء أدبك في الظاهر والباطن فانهم يدخلون في باطن الانسان ويعلمون ما تحويه سرائره من غير أن يشعر بذلك فلهذا يجب على الحاضر بين يدي أولياء الله

أن يحفظ سره عما لا يعني فكيف بالمعاصي فاذا وقعت خطرة من خطرات السوء بين يدي الولي فينبغي للطالب أن يتلافى ذلك ويغسل بتلك الخطرة بالاستغفار والرجوع الى مولاه بالذلة والانكسار وهذا هو الذي أشار اليه الناظم بقوله

الا اذا سبقت للعبد سابقة * يعود من بعد هذا من مواليه

اذا سبقت العناية الالهية للطالب تلافى ذلك الخاطر ومحا سوء الادب الواقع منه بالاستغفار والعودة الى موالاة ذلك الولي وحسن الادب معه فان سماهم السماحة وهم متخلقون بأخلاق مولاهم يحبون التائب ويغفرون الذلة ويقيلون العثرة والحاصل أن النفع المترتب على الاجتماع بالاولياء انما يحصل بلزوم الادب معهم وحسن الاعتقاد فيهم زار بعض الملوك قبر أبي يزيد رضي الله عنه فقال هاهنا أحد ممن اجتمع به وسمع كلامه فأشاروا الى شخص من هناك فقالوا هذا ممن اجتمع به وسمع كلامه فقال له الملك ماذا سمعت من كلامه فقال سمعته يقول من رآني فلا تحرقه النار فاستعظم الملك هذا المعنى وقال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه أبو لهب والنار تحرقه فكيف يقول أبو يزيد من رآني لا تحرقه النار فقال ذلك الشيخ ان أبا لهب ما رأى محمدا رسول الله وانما رأى يتيم أبي طالب وقد قال القشيري نفعنا الله به قعودك مع كل طائفة أسلم من الصوفية وقال الديريني في روضه يعني ان خالطهم وادعى انه سالك مسلكهم ومراده التزين للناس بأحوالهم مع عزمه على مخالفتهم فانه هالك فلذلك لا تحرقه النار فهم المراد الملك وأذعن يعني أبا لهب لم ير النبي بوصف النبوة ولا عظمة في قلبه بالحالة اللائقة بوصفه صلى الله عليه وسلم وانما رآه بعين الحقارة وكونه يتيما رباه أبو طالب فلذلك أحرقته النار ولو رآه بوصف النبوة وأذعن له بها وأسلم لكانت تلك الرؤية رافعة له لمقام الصحبة وحصل له المقام الذي لا يصل أحد من الاولياء اليه ولم تحرقه النار وكذلك الولي لا ينال أحد بركة صحبته حتى يراه بعين الولاية ويعظمه ويقتفي مقامها فتشرق حينئذ أنوارها فعض يا أخي بالنواجذ على حفظ الادب بين يدي المشايخ واحفظ قلبك معهم وقالبك يكن لك في أذواقهم القدم الراسخ ليس الشأن أن ترزق الادب وانما الشأن أن ترزق حسن الادب لا تطالب ربك بتأخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك

﴿ونظرة منه ان صحت اليه على * سبيل ود باذن الله تغنيه﴾

أى ونظرة من الولى ان بعث للطالب على سبيل المحبة أغنته باذن الله ورفعته عن عالم الطبيعة الى عالم القلب واخرجته من ظلمة عالم الملك الى نورانية عالم الملكوت قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ان السلحفات تبيض وتجلس فى البعيد عن بيضها وتربيه بالنظر اليه اذا كانت السلحفات تربى أولادها بالنظر اليهم فكيف لا يربى الشيخ أولاده بالنظر وشتان بين النظرين قال الشيخ السهروردى فى المعارف كنت أنا وعمى فى مسجد الخيف وكان كثير المشى والتردد فيه فقلت له ماذا تريد بكثرة هذا التردد قال أريد جماعة النظر منهم على الشخص كالأ كسير اذا حل على النحاس صيره ذهبا ويروى ان الشيخ نجم الدين الكبرى كان فى مجلس السماع فجاء بقال يتفرج فنظر اليه الشيخ فى ذلك الوقت نظرة وقال له من أين فوصف له حاله فقال له اذهب وارشد الناس فقد أجزتك فاوصله الى الله بتلك النظرة واعطاه مقام الارشاد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى وصف أبى العباس المرسى أبو العباس الرجل الكامل يأتى اليه الاعرابى وهو يبول على ساقيه فما يأتى آخر النهار الا وقد أوصله الى الله وامثال هذه الحكاية كثيرة واردة عن أولياء الله والاعيان يسع ذلك كله وفضل الله واسع من ذلك اذ ليس كما نقل عنهم الا من فضله تعالى فشد المئزر يا أخى فى طلبهم تظفر بالكنز الذى لا ينفد والفضل الذى ليس لغايته حد

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه * وكل قرين بالمقارن مقتدى

دخل اعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال متى الساعة يا رسول الله فقال ما اعددت لها يا اعرابى قال حب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب فما فرح الصحابة بشئ مثل فرحهم بذلك وكذلك أنت يا أخى اذا أحببت الاولياء كنت معهم وان لم تكن فى مقامهم ولا تكن معهم حتى تذعن لهم بظاهرك و باطنك وتنكسر لهم فى سرك وعلانيتك فمن ظفر بذلك فقد ظفر بالغنيمة الباردة وتجد له فى كل حين من اشراق بواطنهم فائدة وأى فائدة

﴿والناس عبدان مجذوب وسالك * ما دعى اليه بتعليم وتنبيه﴾

لما فرغ من الكلام على الشيخ والمريد وما يتعلق بهما من الادب شرع يتكلم فى الحال الذى ينتهى اليه السالك وما يؤول اليه من أمره فقال الناس عبدان أى

قسمان الاول مجذوب سالك والثانى سالك مجذوب وهو الذى عبر عنه بقوله سالك ما دعى اليه بتعليم وتنبيه أى سالك الطريق الذى دعا اليها بتعليم من الشيخ فى السلوك والذكر وتنبيه منه على دقائق يحتاج اليها السالك فى سلوكه والحاصل ان المجذوب السالك هو الذى تقدمت له الجذبة بعناية الالهية ثم سلك هو الطريقة وعرف كيفية الوصول الى مولاه والسالك المجذوب وهو الذى سلك الطريق أولا بالآداب المعروفة عند المشايخ ثم حصلت له الجذبة وأشرقت عليه الانوار فحقق بالمعارف وتبدت له الاسرار

﴿والجذب أخذة عبد بغتة يبدى * بيدى عناية نحو أمر ليس ينويه﴾

﴿هو المراد ومخطوب العناية لا * يحس كلفة تكليف تلاقيه﴾

الجذب أخذة لقلب العبد من الاكوان بالعناية الالهية وادخاله فى مقام الاحسان حتى يرى ما ليس يخطر له ببال ولم ينوه فى البكور والآصال كما ورد اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولم يتقيد ذلك بآخرة ولا دنيا فالعارف جنته حاضرة ولغيره آجل فهو له نقد عاجل وهو المجذوب هو المراد ومخطوب العناية لا يحس كلفة فى التكاليف الشرعية لانها تصير له ذوقا وحالا ولهذا قال يقال يصل العارف الى مقام يسقط عنه التكليف لا بالمعنى الذى يوهمه أهل الاباحة والزندقة بل بمعنى أنه لا يبقى عليه كلفة فى عملها الا ان العبادات تصير فى حقه كالعادات لابد كالشهوات كما يصير الحضور لأهل الجنة سجية وخلقا وكذلك الاعمال عند العارفين ولهذا لم يترك العبادة سيد هذا المقام صلى الله عليه وسلم بل قام حتى تورمت قدماه فقيل له كيف تفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبدا شكورا فأفاد صلى الله عليه وسلم ان هذا من شكر النعمة تمام الخدمة وان ذلك موجب للمزيد قال تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم وهذا سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه لم يترك وردا فى حال نزعه فقيل له فى ذلك فقال ومن أولى منى بذلك وهذه صحائفى تطوى فلم يترك الخدمة رضى الله عنه فى مثل تلك الحالة فكيف بسواها * قيل له ان جماعة يزعمون انهم يصلون الى حالة يسقط عنهم التكليف بها قال وصلوا ولكن وصلوا الى سقر وقال فى كلام آخر له ان

هذا كلام من يقول بالاباحة والسرقة والزنا عندنا أهون حالا ممن يقول بهذه المقالة ولقد صدق رضي الله عنه في قوله هذا فان الزاني والسارق عاصيان تائه بسرقته ولا يصل الى حد الكفر وأما القائل بسقوط الفرائض المعتقد لذلك فقد انسل من الدين كانسلال الشعرة من العجين فعض على هذا الاصل بالنواجذ يا أخي ولا تسمع كلام من أخذ الحقائق من الكتب وصار يتكلم بالزندقة والالحاد واسقاط الاعمال على حسب فهمه وهواه وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فعليك بمتابعته صلى الله عليه وسلم ومتابعة السلف الصالحين في الافعال والاقوال والاحوال نحو مقامهم تكن معهم فالمرء مع من أحب

﴿طورا يرد عليه الحس تكملة * له فيقصد ما قد كان ناويه﴾

أي المجذوب المأخوذ تارة يكون غائبا عن حسه فاقد الشعور وتارة يرد عليه الحس تكملة له فيأتي بما يريده من أنواع الخدمة والعبادات فهو في أخذه محفوظ وفي وروده قائم بالخدمة ملحوظ كان الشبلي رضي الله عنه مستغرقا في جذباته فاذا جاء وقت الصلاة قام اليها وهذه عناية من الله بعبده ولقد كنت في حال جذبتي يعتريني قبيل الصلاة انعقاد في سائر جوارحي كأني مربوط ومكفوت لا أقدر أحرك يدي ولا التفت الى جانبي وتقام الصلاة وأنا بهذه الحالة فأقول في قلبي كيف تقام الصلاة وأنت جالس بين يدي الناس فعندما تتم الاقامة تنفك عني هذه الحال ويفارقني حتى كأني نشطت من عقال وكنت على هذه الحال أياما حتى انقضت فاذا كان أهل الطريق محفوظين من حال الجذبة عن تضييع الفرائض فكيف لا يحفظون في حال التمكين والبقاء ولهذا قال أبو سعيد الخراز كل باطن خالفه الظاهر فهو باطل وقالوا علامة صحة الاحوال استقامة الافعال قال صلى الله عليه وسلم لمن قال أوصيني له قال قل آمنت بالله ثم استقم قال في الحكم خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك ان أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما اذا أقامك

﴿تراه يعبد لا يلوي على شغل * سوى العبادة يتحلى تفانيه﴾

أي ترى المجذوب المذكور عند رده الى الحس لا يشتغل بشيء سوى العبادة

ويستحلى فناءه فيها واستغراقه فى معانيها الداصار هواه طاعة مولاه ومنيته خدمته وكانت رابعة العدوية كثيرا ما تنشد

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع

لو كنت تصدق فى المقال أطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

﴿وقد يغيب عن الاحساس مختطفا * وذو العناية حفظ الحق يحميه﴾

أى وقد يغيب المجذوب عن احساسه ويفقد شعوره ومثل هذا يسقط عنه التكليف شرعا اذ التكليف منوط بالعقل والتمييز والمجذوب فى مثل هذه الحالة غائب عن عقله وتمييزه ومع ذلك ان أرباب العنايات يحفظهم الحق فى مثل هذا الوقت ويحميهم عن تضييع وظائف الخدمة كما نقل عن الشبلى آنفا حصل لسهل رضى الله عنه زمانا فى آخر عمره فكان اذا حضرة الصلاة قام اليها كأنما نشط من عقال وهذا شأن من حفته العناية ومنهم من تفوته الصلاة فى حال استغراقه فيقضيها اذا أفاق وكل على حسب ما قسم له ولم يخرج الكل عن القانون الشرعى ولم يصدر منهم خلاف الادب المرعى نفعنا الله ببركاتهم وأذاقنا من رائق شراب طوياتهم

﴿ترى الحقائق تبدو منه فى نسق * مع الكشوف لان الله ملقيه﴾

ترى الحقائق تبدو من المجذوب منسقة يتبع بعضها بعضا باحسن نظام وأتم تعبير مع ما يكشف الله له من الاحوال والوقائع السابقة واللاحقة ورؤية المشايخ السابقين والمعاصرين ورؤية النبى صلى الله عليه وسلم ورؤية الاولياء وعروج به وروحه الى سدرة المنتهى وانكشاف الجنة له والنار ورؤية أمور عظيمة لا يفى التعبير ببيانها فان أمور القوم لا تتضح ولا تعلم الا بالعيان والمشاهدة لا بالاخبار وانما المقصود من البيان التشويق وتحريض الطالبين على الطلب قال فى الحكم الفكرة فكرتان فكرة تصديق واذعان وفكرة شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب الشهود والاستبصار ولقد حصل لى بحمد الله من ذلك كله النصيب الوافر وعاينت فى أثناء الخدمة ما سمعت بكثير منه عن أحوال القوم وجمعت بين الخبر والمشاهدة كأنى كنت مصدقا بكل ما أسمعه من أحوال القوم ولا أقدله وانما مقصودى محض العبودية وكنت أسمع المشايخ فى كتبهم يقولون لا بد من الشيخ فى

الطريق وهو وان كان أعز من الكبريت الاحمر لكن من صدق فى الطلب ظفره الله الاجتماع به فكنت ماضيا فى هذه الوصية بالتواجد ملازما للآداب المذكورة عن المشايخ فى آناء الليل وأطراف النهار واجدا حلاوة لذلك فى قلبى وصفاء الا ان ذلك الفتح العظيم لا أجده ولا أطلبه فاسعدنى الله بعد ذلك بوصول شيخى الشيخ العارف السالك تاج الدين الى مكة فوصلت اليه وأخذت عنه الطريق وتلقنت منه الذكر فلم يأتى على اليوم السابع الا وقد حصلت لى الجذبة ورأيت شيخ الطريقة حضرة الخوجه بهاء الدين نقشبند جهارا وأفادنى من ذلك المجلس بفوائد وأوصانى بوصايا ثم جرت أمور بعد ذلك وأحوال لا يمكن التعبير عنها وكل ذلك ببركة الانكسار والذلة والحضور بين يد المشايخ وتصحيح المقصد فلله الحمد على ذلك ولم أذكر ذلك الامر غما للطالبين فى الطلب وتحريضا للزوم الآداب بين يدى المشايخ والانكسار لهم فانه الترياق المجرب فى الطريق ولا يستغرب جميع ما يقع من أهل الجذبات فى جذبتهم فانهم قد تحققوا بمقام الفنى فليس لهم فعلا ولا وصفا ولا وجودا فانما الفعل فعله والوجود وجوده والى هذا المعنى أشار الناظم بقوله لان الله يلقيه فافهم ذلك يا أخى يحصل مقام الايمان لتتم بذلك درجة المحبة ومقام الاحسان

(وذو السلوك تراه فى لذاذته * مجاهد النفس ذا رعى لباقيه)

(يمشى على نهج أهل الصدق ملتزما * شروطهم خائفا فيما يرجيه)

أى السالك المجذوب وهو القسم الثانى من أهل الطريق تراه فى ارادته مجاهدا لنفسه مراعيا البقية أحواله متادبا بآدابه باذلا جهده فى الوصول الى منازل أحبابه يمشى على طريق أهل الصدق ملتزما شروطهم جامعا للخوف والرجا فيخاف فى رجائه ويرجو فى خوفه كما هو شأن أهل الكمال فى سلوكهم كما قال صاحب الحكم فى مناجاته أم كيف ان رجائى لا ينقطع وان عصيتك كما ان خوفى لا يزايلنى وان أطعتك ومن كان هذا حاله كان ماله الهداية كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والهداية هداية الحق عبده الى حضرته وفتح أنوار قلوبهم حتى تشرق عليهم أنوار عظمته ومن ذلك تنشأ الجذبة المعروفة عند القوم اه فتضطرب الجوارح ويبوح اللسان بكل سانح يظنه المحجوب مجنونا وما به جنون ويعذره النافذ البصير ويعرف انه بمحبة مولاه

مشجون وما أحسن ما قال بعضهم

لي في محبتكم شهود أربع * وشهود كل قضية اثنان

خفقان قلبي وارتعاش مفاصلي * ونحول جسمي وانعقاد لساني

وقال ابن علوان رضي الله عنه أحبابنا يحيرون أني بكم المفتون باكي العيون محزون مجنون غير مجنون وكيف لا يكون كذلك وقد سطعت في قلب المجذوب أنوار جمال الربوبية وأشرقت في روحه شموس معارف حضرة الاحدية فيا لها حالة ما ألذها وأحلاها ويا لها منزلة ما أرفعها وأعلاها من ذاقها انسى الاكوان وما هاو من استنشقها احد في طلبها وحام حول حماها

﴿كم من مريد قضى ما نال بغيته * حق القضاء عليه في تقاضيه﴾

أي كم من مريد قضى في سلوكه وجاهد في سيره ولم ينل بغيته ووقع القضاء عليه بالعدم كل من سلك الحي مع النداء من مره أهلا بذلك الزائد خلي قطاع العيافي الى الحي كثير وأما لواصلون قليل هذه اشارة من الناظم الى ثقة أقسام أهل الطريق والحاصل انهم أربعة قسام فالاول المجذوب السالك والثاني السالك المجذوب وقد تقدما وهذان يصلحان للتكميل والارشاد والثالث السالك غير المجذوب المشار هنا في قول الناظم كم من مريد الخ والرابع المجذوب غير السالك وهذان لا يتأتى منهم التكميل والارشاد وكل على بينة من ربه راضيا بما قسم له من حبه قد علم كل أناس مشربهم

﴿وكم من مريد دنا من بعد عزمته * يهوى به الحظ في أهوى مهاويه﴾

﴿وما المريد الذي صحت ارادته * الا مرادا له جذب يوافيه﴾

وكم من مريد ضعيف من بعد جد نزله حظه في أسفل السافلين لفتوره عن مجاهدته واعراضه عن باب مولاه شعر

كل له نحو العلا حركات * لكن قليل في الرجال ثبات

أي والمريد الذي صحت ارادته بتصحيح مقصده وباقباله على مولاه واعراضه عن كل ماسواه هو الذي أريد منه ان توافيه الجذبة وتستغرق ظاهره وباطنه المحبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال في الحكم ماتوقف مطلب أنت طالبه بربك وما تيسر

مطلب انت طالبه بنفسك من علامة النجح فى النهايات الرجوع فى البدايات من اشرقت بدايته نهايته أشرقت اياك نعبدو اياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم

﴿والجذب ان كان من بعد السلوك له * فضل على الجذب ما السعى تاليه﴾

﴿فالجذب هذا الذى التفضيل فيه على * الجذب الذى ظهرت حسنا بواديه﴾

﴿وفى الحقيقة لولا الجذب ما سلكت * طريق حق ولا رؤيت مراثيه﴾

﴿لولا العناية والتخصيص قد سبقا * فى دعوة العبد ما قامت دعاويه﴾

لما فرغ الناظم رضى الله عنه من بيان أقسام أهل الطريق شرع يبين الافضل من ذلك فقال الجذب الذى يجيء من السلوك أفضل من الذى يتلوه السعى أى من الجذب المقدم على السلوك وهذا الجذب المفضل هو الجذب الذى ظهرت فى الحس ظواهره وأشرقت على جميع السالك أنواره وأزهرت اذاخره وفى الحقيقة لولا الجذب من الحق لعبده ما سلك طريق الحق ولا رؤيت مظاهره ولولا العناية والتخصيص قد سبقا فى دعوة العبد ما تمت له مقاصده عنايته فيك لا لشيء منك وأين كنت حيث واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن فى أزله اخلاص اعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وأعظم النوال شعر

اليكم بكم سادتى جئتكم * فلا تملوا من أساء الادب

وقولوا عفا الله عن مامضى * فليس التفضل منكم عجب

﴿ان المريد مراد والمحب هو المحبوب فاستمل هذا من أماليه﴾

﴿ان كان يرضاك عبدا أنت تعبده * وان دعاك مع التمكين تأتيه﴾

﴿ويفتح الباب اكراما على عجل * ويرفع الحجب كشفا عن تدانيه﴾

﴿وثم تعرف ما قد كنت تجهله * مما عن الحصر قد جلت معانيه﴾

﴿وترتوى من شراب الانس صافية * يا سعد من مات عطوا بصافيه﴾

﴿وصل يارب ما غنت مطوقة * على النبى صلاة منك ترضيه﴾

أى ان المريد للطريق مراد من قبل مولاه ولولا ان مولاه أراده ما اقبل على الطريق ولولا العناية السابقة ما ول عنه لتعويق والمحب للطاعة هو المحبوب اذ لولا محبته وجذبته ما أشرقت عليك أنواره ولا ظهرت منك خدمته فانت عبده وعابده ان كان

برضاك وانت المتمكن المرشد ان كان لذلك دعاك ويفتح لك الباب حينئذا كراما على عجل ويرفع عنك الحجب ويوصلك مع من وصل وتعرف ثم ما كنت تجهله وتدرك من الاسرار ما يعجز عن حصره كلما يعقله وترتوي حينئذ من شراب الانس صافيه فيا سعد من بات علو أبتلاك النعمة الوافية وصل يارب ما غنت حمامة على النبي المصطفى خير من سكن تهامه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأحبابه * وهذا آخر ما تيسر على الطالبين لفظه ومفهومه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

بعون الله الملك العليم الخالق تم طبع هذه الألفاظ التى شرحها راثق على
الرسالة المسماة بقصيدة ابن بنت أبي المليق وكان ذلك بمنة
من الله وتوفيق نفعنا الله به وبعلومه آمين